مظاهر اهتمام الخلفاء العباسيين بعلم طب العيون

أ.د. ياسر عبدالجواد المشهداني *
اسماء خليل سليمان

ملخص البحث

شهد العالم الإسلامي تطور كبير في العلوم الطبية والاهتمام بها بفروعها جميعاً ولاسيما (طب العيون) (ophthalmology) ولأهميته فقد برع العرب في هذا المجال وتوسعوا في دراسته بـ(علم التشريح) وتطبيقه على عيون الحيوانات لمعرفة اجزائها وطبقاتها بصورة دقيقة وإدراك كيفية إتمام الرؤية بها وتمكنوا من الوصول الى كثير من المعلومات التي لم يتوصل اليهم من احد الامم ولاسيما اليونانيين .

تناول البحث دور الخلفاء العباسيين في الاهتمام بعلم طب العيون ورعاية الأطباء القائمين عليه وكذلك استعراض ابرز أطباء العيون في الحضارة الإسلامية سيما أولئك الذين كان لديهم بصمات واضحة في تطوير وتقدم ذلك العلم .

Abstract

The Islamic world has witnessed a great development in medical sciences and interest in all of its branches, especially ophthalmology. From accessing a lot of information that was not reached by any of the nations, especially the Greeks.

The research dealt with the role of the Abbasid Caliphs in the interest in the science of ophthalmology and the care of the doctors in charge of it, as well as a review of the most prominent ophthalmologists in Islamic civilization, especially those who had clear fingerprints in the development and progress of that science.

* جامعة الموصل / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ .

المقدمة

اولا : بدايات الاهتمام بطب العيون في التاريخ الإسلامي :

ارتقى علم الطب بشكل عام ولاسيما (طب العيون) بصورة واسعة في عهد الخلافة العباسية لما أبدتهُ من اهتمام تجاه العلم والحركة الفكرية والثقافية [١] وحقق العرب المركز الاول بين حضارات العالم اجمع لذا تُعد الخلافة العباسية هي خلافة العلوم والمعارف بجميع صفوفها النظرية والتطبيقية والفلسفية [٢]

وبناء على ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من دعوة الى التطور والنضوج الفكري والتي وفرت فرص للتفكير والابداع والقضاء على معالم الجهالة التي كانت سيطرت على عقولهم ، وبظهور تعاليم الدين الإسلامي تمكنت من السيطرة عليها وإنماء الحركة الفكرية والعقلية التي بدأت تنمو يوم بعد يوم وتأخذ بالتطور وترسم في التطلع الى عالم جديد مبني على المصادر الجديدة التي كان لها الأثر الكبير في عملية الترجمة [٣] بما اورده أبي جلجل فقد تبين لنا انها قد بدأت في العصر الأموي في عهد الخليفة (مروان بن الحكم) (٦٤-٦٥هـ) على يد المترجم (ماسرجويه) الذي ترجم كتاب (اهرن بن اعين القس)[٤] بعنوان (الكناش) المؤلف باللغة السريانية ونقله الى العربية ، إذ يُعد الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) هو من اخرجه من خزائن الكتب (الاموية) واستخار الله في اخراجه الى المسلمين والانتفاع به [٥] فكان الاهتمام الذي أبداهُ خلفاء الاسلام بالعلم والتعليم متواصل عبر مر الزمان مهتدين بما جاء به الاسلام ونص عليه القرآن الكريم ومن أعظم ما قدمه الأمويون تجاه الحضارة الاسلامية ترجمة المؤلفات اليونانية ولاسيما الطبية منها بأمر من الأمير (خالد بن يزيد)[٦] (٨٥هـ/٧٠٤م)[٧] فكان عالم بالطب وهو أول من نقل المؤلفات الطبية اليونانية الى العربية [٨] إذ اطلق عليه تسمية (حكيم ال مروان) وذلك لشهرتهِ الكبيرة في الشعر وفصاحة اللسان بالإضافة الى اجادتهِ فن الخطابة [٩].

ثانيا : طب العيون في العصر العباسي :

من أوائل العرب والمسلمين الذين أبدوا اهتمام بالعلم والمعرفة وتشجيع العلماء والحكماء في تطوير خبراتهم الخليفة (أبو جعفر المنصور)[١٠] (١٣٦-١٥٧هـ/٧٥٤-٧٧٥م) الذي أبدى اهتماماً في تطوير العلوم في عملية نقل الكتب غير العربية الى العربية والعمل على دراسة ابتكاراتهم العلمية [١١] كاليونانية والفارسية والهندية والتي تُعد أحد أهم الأسباب المباشرة التي لها دور في نشأة وتطور الطب في بغداد [١٢]، وادخال امهر الحكماء والمفكرين والعلماء من بلاد فارس التي اشتهرت بمدرستها الطبية المعروفة بجنديسابور ومنحهم المكانة الرفيعة في المجتمع وتقديم الاحترام للأطباء من الخليفة نفسه وتقليدهم الرتب الرفيعة ومنحهم المال الوفير ومن أشهر هؤلاء الأطباء النسطوريين الحكيم (جورجيس)[١٣].

إذ اشتهر بحكمته فذكره ابن النديم بقوله: "كان فاضلاً"[١٤] ولعلمه الواسع استدعاه الخليفة (أبو جعفر المنصور) الى بغداد لتطبيبه (١٥٢هـ/٧٦٩م) عندما اشتد به المرض فتمكن من اشفائهِ وزرع الفرح في نفس الخليفة إذ أمر الخليفة خادمه بإكرامه ومنحه ثلاث الاف دينار وان يجاب الى كل ما يسأل عليه [١٥] وقد كان لمثل هذه الرعاية والعطف التي يقدمها الخلفاء الى الاطباء الوافدين الى بغداد بمثابة واجب وقع عليهم وذلك لما قدمتهُ تلك الاسرة من ازدهار الطب في عصرهم وارتقائهِ كان قد وقع على عاتقهم هم والأسر الأخرى التي نزحت من جنديسابور [١٦] واستمرت اسرة بختيشوع ما يقارب (الثلاث قرون) في خدمة بيمارستانات بغداد وخدمة الخلفاء العباسيين وأسرهم [١٧] فدرسوا في مدارسها وعالجوا في مستشفياتها واتبعوا نظام التخصص في مجال الطب [١٨].

ولما توفي الخليفة العباسي (ابو جعفر المنصور) فقد ولي الخلافة من بعده ابنه (المهدي) (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٦م) إذ اتصف بدرجة عالية من الرقي لا تقل عن أبيه فكان محباً لما اجتمعت به من الصفات المحمودة وقد اعتبر اول خليفة أمر بتصنيف كتب الجدل وسعى في مواجهة الزنادقة

والملحدين والقضاء عليهم وقد ذكره السيوطي بقوله: "ولما شب المهدي أمره ابوه على طبرستان وما والاها، وتأدب ، وجالس العلماء وتميز"[١٩] وسعى جاهداً على رد المظالم [٢٠]، فكان من الخلفاء المحبين للعلم والمشجعين له مما جاء عن السيوطي في قوله: "وردني ان شريكاً دخل على المهدي فقال له : لابد من ثلاث: إما أن تلبي القضاء وتؤدب ولدي وتحدثه او تأكل عندي أكلة ؟ ففكر ساعة ثم قال: الاكلة اخف علي ، فأمر المهدي بعمل الوان من المخ المعقود بالسكر وغير ذلك فأكل فقال الطباخ : لا يفلح بعدها، قال: فحدثهم بعد ذلك وعلمهم العلم وولي القضاء لهم" [٢١].

ومع خلافة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٧٦-٧٩٩م)[٢٢] فقد تمثل عهده بالازدهار وذلك لما قدمه الخليفة من انجازات كبيرة في شؤون الحياة المختلفة ولاسيما العلمية منها لذلك فقد تميزت مدينة بغداد عن باقي المدن الاخرى وذلك لاهتمام الخليفة تجاه الدولة فجعلها تتميز عن باقي الدول بوقارها ورونقها وخيراتها فتوسعت رقعة مملكته وازدادت امواله بجبي المدن التي فتحها فكانت تلك الظروف التي عاشتها (مدينة بغداد) من وفرة الاموال والرفاه الذي تميزت به جعلها من اكثر المدن نجاحاً ورقياً مما دفع اهل العلم من التوافد إليها بكافة اختصاصاتهم من علماء واطباء وشعراء والسبب الرئيس في توافد اهل العلم الى بغداد هو الخليفة نفسه لما قدمه من تشجيع وبذل كنوزه على العلم والعلماء والاطباء وإكرامهم بالاموال والهبات والعطايا [٢٣].

ولهذه الظروف التي اجتمعت في (بغداد) اثر واضح في الانعكاس على سكانها إذ ذكرها اليعقوبي بقوله: "**حسنت اخلاق اهلها ونضرت وجوههم وانفتقت اذهانهم حتى فضلوا الناس في العلم والفهم والادب والنظر والتميز والتجارات والصناعات والمكاسب والحذق بكل مناظرة وإحكام كل مهنة وإتقان كل صناعة فليس عالم أعلم من عالمهم ولا أروى من رأيهم ولا اجدل من متكلمهم ولا اعرب من نحويتهم ولا اصح من قارئهم ولا أمهر من مطببهم ولا احذق من مغنيهم**"[٢٤] ووصل تطور الطب الى اعلى مستوى من الكمال عند العرب المسلمين في حين ان اوربا في هذه الفترة كانت غارقة

ببحر من التخلف والجهل والظلمات والفوضى [٢٥] إذ وصل (طب العيون) عند العرب درجة عالية من التطور والاهتمام لأنه من الأمراض الواسعة الانتشار في العالم الاسلامي ولكونه يقع ضمن المناطق الحارة [٢٦]. والمتربة التي تساعد على نشر الأمراض لذا فقد شجع الخلفاء العباسيين (اطباء العيون) لدراسة أمراض العين والتوصل الى أهم الأسباب التي تساعد على انتشاء الاوبئة والامراض والسعي الجاد في الوصول الى إيجاد العلاجات الخاصة بها [٢٧] وازداد الاهتمام بطب العيون عندما قام الخلفاء العباسيين بإنشاء مراكز مختصة بالعلم فضلاً عما قدمه العرب من جهود في فتح البلدان المجاورة والاطلاع على ثقافاتهم وحضاراتهم وعلومهم التي اشتهرت بها تلك الدول والعمل على اقتباس علومهم سواء أكانت (الطبية او الفلكية) لمعالجة أبدانهم من الامراض[٢٨] وقد حدث ابن قتيبة الدينوري في كتابه (عيون الاخبار) قال: "حدثني أحد الأطباء عن رجل شرب خبث الحديد المعجون فبقي في جوفه فاشتد عليه وجعه فسحقت له قطعة من المغنطيس وسقيته إياها فتعلق الخبث بالمغنطيس وخرج مع الغائط"[٢٩].

حافظ العالم الاسلامي على سلامة المجتمع والحفاظ عليه من انتشار الامراض وبذل الجهود لمكافحتها والحد منها وخاصة الامراض الخاصة بالعيون وقد وقع هذا المهام على اطباء العيون الممارسين لمهنة "الكحالة" والمتقين لها فضلاً عن دور الدولة في تشديد نظام الحسبة القائم على مراقبة ومحاسبة الاشخاص العاملين بهذه المهنة من غير دراسة او المام في ادائها[٣٠] ويعد نظام الحسبة من الانظمة ذات الأهمية الكبيرة في المجتمع الاسلامي لما قدمه من خدمة تجاه محاسبة المخالفة والمقصرين والمتلاعبين بأرواح الناس فالحسبة إذن هي احدى الوظائف الدينية التي تهدف الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والشخص الذي يعمل بها يدعى بـ(المحتسب) إذ يتصف بقدرة عالية لممارسة المهنة التي يقوم بها [٣١] التي تتعلق في مراقبة مختلف شؤون الحياة ولاسيما الصحة والتطبيب ومنع ممارسة الشعوذة والسحر وردع الناس الذين يؤمنون بهم ويتعاملون معهم،

ومن احدى مهام المحتسب هي مراقبة الصيادلة اثناء بيع الأدوية والعقاقير وعدم السماح بتعاطيها الا على وفق استشارة الطبيب المختص وإعطاء وصفات طبية صادرة من تحت اشراف الطبيب [٣٢] وتم تنفيذ هذه المهام في عهد الخليفة العباسي (المقتدر) (٣١٩هـ/٩٦٦م) الذي منع اصحاب المهن من اداء صناعتهم الا بعد اجتياز الامتحان المخصص للطبيب [٣٣] إذ طبق هذا القرار على أثر تعرض أحد الاشخاص المصابين بمرض الى الوفاة نتيجة لخطأ ارتكبه احد الاطباء بحق المريض والتسبب في وفاته إذ أمر الخليفة بتشديد الرقابة على ممارسي المهن من قبل المحتسب (إبراهيم بن محمد بطحا)[٣٤]. وعدم السماح لهم بأداء مهنتهم الا بعد حصولهم على إجازة او ترخيص من رئيس الاطباء (سنان بن ثابت) بعد اجتيازهم الامتحان المخصص لهم [٣٥] كلٌ ضمن اختصاصه ويعد هذا الامتحان على أنه الاول في تاريخ الطب العربي الاسلامي ومن خلاله يتم منح الطبيب إجازة لكي يعمل لمزاولة مهنته في الطب وكلٌ حسب اختصاصه سواء الجراحية او التجبير او طب العيون [٣٦]، فكان (اطباء العيون) لا يسمح له الا بعد اجتيازهم الامتحان الذي أُعد لهم بكتاب (العشر مقالات في العين) للطبيب (حُنين بن اسحاق) ومهام المحتسب في هذا المجال يكون باكتشاف مدى معرفة الاطباء الممارسين لمهنة (الكحالة) بتشريح العين وطبقاتها السبع ومدى معرفة برطوباتها ونوع الأمراض التي تصيب العين وحجم خبرتهم في تحضير (الاكحال) وتركيبها او تحضير العقاقير فمن رأى لديه معرفة بذلك فقد اذن المحتسب له بالمباشرة في ممارسة مهنته والسعي في معالجة وتطبيب أعين الناس [٣٧] في الكتب التي سعوا الى تأليفها التي لاقت صداها في العالم الاوربي ومن أهمها كتاب للكحال (يوحنا بن ماسويه) (ت: ٢٤٢هـ/٨٥٧م)[٣٨] المعروف (بدغل العين) وهو من الكتب التي كتبت باللغة العربية الضعيفة ذات المنهجية الاغريقية [٣٩] ويعود له الفضل في اكتشاف اغلب الامراض المتعلقة بطب العيون ومنها مرض (السبل القرني)[٤٠] إذ تمكن (يوحنا) من ادراك طبيعته الالتهابية ووصف صورته السريرية وكان لذلك الوصف أهمية لأنه ادق الوصفات الطبيعية واقدمها

لهذا المرض [٤١] فضلاً عن اكتشافه فقد برع في معرفة اسباب حدوثه وطرائق معالجة وهي من الطرائق التي لم يتمكن الاغريق من الوصول الى ما وصل اليه الكحال (يوحنا)[٤٢].

ثالثا : اهم أطباء العيون :

يعد الطبيب (بختيشوع) من أوائل الأطباء الوافدين الى بغداد في مدرسة جنديسابور بأمر من الخليفة الرشيد عندما شكى من ألم في رأسه فتمكن الطبيب النسطوري من اشفائه فخلع عليه الخليفة الخلع الجليلة ومعها الكثير من الأموال"[٤٣] فنال شهرة واسعة لامتلاكه الخبرة العالية في مجال (الطب) والطبيب (جبرائيل بن بختيشوع) (ت: ٢١٣هـ/٨٢٨م) الذي حظي بمكانة رفيعة لدى الاسرة العباسية وأجزل عليه الخليفة الأموال على انه يُعد أحد اطباء العيون الماهرين الذين مارسوا (الكحل) والف كتب فيه، عاش في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين وللعلم الذي امتلكه الطبيب (جبرائيل بن بختيشوع) في مجال الطب نال اعجاب الخلفاء العباسيين منهم الرشيد والمأمون ووزرائهم البرامكة وأسرة الخليفة [٤٤].

وله الدور في الحصول على الكتب النادرة والانتفاع منها والسعي الى انشاء بناية خاصة لحفظ الكتب اطلق عليها فيما بعد (بيت الحكمة)[٤٥] واهتم بالعلم والعلماء وقربهم اليه فكان أفصح الخلفاء واكرمهم وذكره الفخري بقوله: "**كان الرشيد يتواضع للعلماء: قال أبو معاوية الضرير، وكان من علماء الناس: أكملت مع الرشيد يوماً فصب على يدي الماء رجل، فقال لي: يا أبا معاوية أتدري من صب الماء على يدك؟ فقلت: لا يا أمير المؤمنين قال: أنا. فقلت: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا إجلالاً للعلم؟ قال: نعم**"[٤٦] مما يدل على موقف الخليفة في المحافظة على استمرارية الحضارة وتطورها وتشجيع الاطباء للمجيء الى بغداد.

وقد أجزل لهُ الخليفة من العطاء حتى وصلت املاكه إلى ثمانية وثمانين مليوناً وثمانمائة درهم[٤٧] وقربه منه ولا سيما عندما تمكن من اشفاء إحدى جارياته فأعجب به الخليفة وبعلمه الواسع وإكراماً له

وتشجيعهُ على دوام العطاء وتحقيق الإبداع في الصناعة التي امتهنها في مجال الطب فأمر له الخليفة بمبلغ مالي يصل قدره (بخمسمائة الف درهم) ومنحه منصب مهم في المجتمع على ان يكون (رئيساً على جميع الأطباء) وأمر الخليفة اصحابه المقربين اليه بقوله: "**كل من كانت له حاجة الي فلخاطب فيها جبرائيل لأني أفعل كل ما سألنيه ويطلبه مني**"[٤٨] ومنحه مبلغ مالي سنوي يصل الى (مائة الف درهم)، مقابل ما يقدمه الطبيب (جبرائيل) للخليفة[٤٩].

ومن أطباء العيون الذين نالوا شهرة كبيرة في عهد الرشيد الكحال (ابو يوحنا بن ماسويه) نال الشهرة عن طريق معالجة واشفاء عين خادم (الفضل بن الربيع)[٥٠] فحضي من الخادم المال الوفير وطبب (الفضل بن الربيع) نفسه عندما شكى من ألم في عينه فبقى الكحال (ماسويه) الى ثلث الليل يكتحله واسقائه الدواء وبهذا تمكن من تحقيق الشفاء له بعد ان عجز الطبيب (جبرائيل بن بختيشوع) من شفائه وبهذا الإنجاز الكبير الذي قدمه (ماسويه) حظي من الفضل المال الوفير الزائد عن الحاجة شهرياً وامره (الفضل) ان ينقل اسرته من جنديسابور والمجيء بهم الى مدينة بغداد وكان ابنه (يوحنا) صبي هو احد افراد عائلته [٥١].

ويُعد الكحال يوحنا بن ماسويه (١٩٠-٢٤٢هـ)[٥٢] من اوائل الاطباء الذين كتبوا في طب العيون [٥٣] فأصبح له دور بارز في صناعة الكحل التي اقتبسها عن والده الى جانب احترافه الترجمة فكان هو الأخر من الاطباء الذين نالوا اهتمام الخلفاء العباسيين وخاصة الخليفة (الرشيد) وذلك عندما شكى يوماً من ألم في عينيه فدخل على الخليفة لمعالجته فتمكن من إبرائه بمدة قصيرة لا تتجاوز اليومين وبهذا الانجاز الذي قدمه الكحال (يوحنا) للخليفة مما زاد من احترام الخليفة له فأكرمه مبلغا من الدراهم واشغاله منصب العمل مع جبرائيل [٥٤] فضلاً عن منحه المناصب الادارية منها "رئيس المترجمين" للكتب القديمة في (بيت الحكمة) "ببغداد"[٥٥] وأمر الخليفة ان يكون (يوحنا) طبيبه

الخاص ومن ثم تقليده رئاسة المدرسة الطبية في بغداد إذ خدم عدد من الخلفاء منهم (الرشيد، الامين، المأمون، المعتصم، الواثق)[٥٦].

وللوصول الى معلومات دقيقة في شرح العين ومعرفة تفاصيلها استخدم التشريح على عيون الحيوانات ، ومنها القردة لما وجده من صعوبة في الحصول على الجثث البشرية والعمل على تشريحها لان هذا الامر يخالف تعاليم الدين الاسلامي [٥٧] وذلك لكثرة انتشار امراض العيون ولاسيما في بعض البلدان العربية منها العراق ومصر وبلاد الشام مما جاء اهتمام العرب بدراسة امراض العين بشكل دقيق إذ تمكن اطباء العيون العرب من تشريح عيون الحيوانات والوصول الى العديد من المعلومات المهمة الخاصة بالعين[٥٨] وللابداع الذي قدمه الطبيب يوحنا في علم التشريح كان دافعاً للخليفة المعتصم بان يأمر له بإنشاء مكان مخصص للتشريح بالقرب من نهر دجلة ووفر له العديد من القردة من بلاد النوبة[٥٩] فكان لمثل هذه الاكتشافات دافع للطبيب (يوحنا) بوضع رسالة خاصة في معالجة امراض العيون وتُعد من أقدم الآثار التي تم العثور عليها مما نصت عليه في معالجة أمراض العين وبشكل دقيق ومنتظم [٦٠].

وبفضل الخليفة الرشيد على العلماء والحكماء ما جعل اصحاب العلم يتوافدون اليها من مختلف الأقاليم لينهلوا من العلوم والمعارف التي ازدهرت بها مدينة (السلام) ويتموا ما بدأ به من قبلهم [٦١] وكان حب الخليفة هو سبب ازدهار الحياة في بغداد في كافة شؤونها وكان حب الخليفة للعلم والعلماء لا يضاهيه أحد من الخلفاء الذين سبقوه وقد ذكره الفخري بقوله: "**لم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والقضاة والكتاب والندماء والمغنين ما اجتمع على باب الرشيد وكان يصل كل واحد منهم أجزل صلة ويرفعه الى اعلى درجة وكان فاضلاً شاعراً راوية للأخبار والأثار والاشعار صحيح الذوق والتميز مهيباً عند الخاصة والعامة**"[٦٢].

وهذه الصفات التي اتصف بها الخليفة تجاه العلم لها الأثر الواضح في نمو الحركة العلمية وازدهارها وحث العلماء والمفكرين الى تقديم المزيد من العطاء والتقدم مما جاء في قول ابن النديم حول تشجيع الخليفة (هارون الرشيد) للعلماء فقال: "**أشرف الرشيد على الكسائي وهو لا يراه فقام الكسائي ليلبس نعله لحاجة يريدها فابتدرها الامين والمأمون فوضعاها بين يديه فقبل رؤوسهما وايديهما ثم أقسم عليهما الا يعاودا، فلما جلس الرشيد مجلسه قال: أي الناس اكرم خادماً، قالوا أمير المؤمنين أعزه الله. قال: بل الكسائي يخدمه الأمين والمأمون وحدثهم الحديث، قال: ولما اشتدت علة الكسائي بالري جعل الرشيد يدخل عليه يعوده دائماً**"(٦٣).

ولما ولي الخليفة العباسي المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٢٨م) والذي عرف بمدى حبه الكبير وولعه بالمؤلفات الطبية اليونانية (٦٤) فسار على مسيرة أبائه واجداده في احترام العلم والمعرفة واعتبر من الخلفاء المشجعين للعلماء فذكره الدينوري بقوله: "**وُصف المأمون بحسن التدبير وبالعلم وتعلم منهم ما بدأ به جده المنصور من ترجمة كتب العلم والفلاسفة فقد كان له غرام واضح بالثقافة والمناظرات العلمية ولكن على طريقة الخاصة طريقة الحوار بين السيف والقلم**"(٦٥) كما ذكره الفخري بقوله: "**كان المأمون من افاضل خلفائه وعلمائهم وجلسائهم**" **وقوله: "وأعلم ان المأمون كان من عظماء الخلفاء ومن عقلاء الرجال وله اختراعات كثيرة في مملكته**"(٦٦).

ويعد الخليفة العباسي المأمون أول من ابتدأ في النظر بعلوم الاوائل وتكلم في مجال الطب فقرب إليه أهل الحكمة (٦٧) وهو من الخلفاء الذين لهم دور كبير في انشاء وتطور (دار الحكمة) والسعي للحصول على الكتب اليونانية النادرة والعمل على ترجمتها الى اللغة العربية عن طريق أمهر مترجمين عصره (٦٨) ومن أشهر الأطباء والمترجمين المعاصرين للخليفة المأمون هو الطبيب (حُنين بن اسحاق) فحظي باهتمام واسع من قبل الخلافة العباسية وذلك لعبقريته في الترجمة ومدى الدقة التي اتصف بها في عمله فسعى الى ترجمة الكتب اليونانية الى السريانية ومن ثم الى العربية لكونه

أجاد اتقان اربعة لغات في آن واحد وهي اللغة (السريانية، الفارسية، اليونانية، العربية)[٦٩] لذا فقد دعاه الخليفة الى ترجمة الكتب الاجنبية الى العربية منها كتب (افلاطون وابقراط وجالينوس)[٧٠].

ولارتقاء الحركة العلمية التي تمثلت بـ (الترجمة والتأليف) وازدهارها قد اطلق على هذا العصر بـ (العصر الذهبي) الذي كان نتاج ما قدمه الخليفة المأمون من الأموال والانفاق بسخاء على العلم والعلماء فكان يكرم المترجمين من الذهب زنة الكتب الذي يترجمه الى العربية لذا فقد حظي (حُنين بن اسحاق) باهتمام الخليفة المأمون بمنحه المناصب الادارية المهمة منها رئاسة (بيت الحكمة) [٧١] ولاهتمام الخليفة بالمؤلفات الاجنبية فعمل على الغاء الغرامة المالية المفروضة على ملوك البلدان المفتوحة مقابل تقديمهم الكتب للخليفة الذي يعدُ الحصول على تلك الكتب بمثابة كنز عظيم قد حصل عليه [٧٢].

ولحبه الواسع للعلم والسعي في الحصول عليه فقد احاط مجلسه بكوكبة من علماء عصره تأكيداً على هذه الحقيقة ما جاء في قول (سجي بن الأكثم) بقوله: "**أمرني المأمون أن أجمع له وجوه الفقهاء وأهل العلم من بغداد فاخترت له من أعلامهم أربعين رجلاً واحضرتهم له وجلس لهم المأمون فسأل عن مسائل وافاض في فنون الحديث والعلم**"[٧٣].

ومن الخلفاء العباسيين الذين تميزوا بمدى احترامهم واكرامهم للحكماء والعلماء وتشجيعهم على مواصلة ما يقدمونه من علم لخدمة الاسلام الخليفة المعتضد، ومن أهم مواقفه التي يشهد لها بإكرامه للحكماء هو اكرام الطبيب (ثابت بن قرة الحراني) انه تجول معه في إحدى جنائنه ويده على يد الطبيب فانتزع الخليفة يده بسرعة من على يد الطبيب ففزع ثابت من ذلك، فقال له الخليفة المعتضد: يا ثابت اسأت بحقكَ حين وضعتُ يدي فوق يدك فغفلت فإن العلماء يعلون ولا يعلى عليهم"[٧٤]

الخاتمة

اتضح من خلال هذا البحث ان علم طب العيون نال اهتماما كبيرا وملحوظا من لدن الخلفاء العباسيين بدليل ظهور العديد من الأطباء الذين تقربوا من الخلفاء وأصبح بعضهم من الأطباء الخاصين بدار الخلافة .

كما برع اولئك الاطباء سواء عن طريق المعالجات او التأليف لكتب طب العيون في الارتقاء بهذا العلم بعد ان طوروه عن الحضارات السابقة ووضعوا لمساتهم عليه ، ليعود مرة اخرى الى اوربا بأفكار وروحية جديدة .

هوامش البحث

(١)حكمت نجيب عبد الرحمن: دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، دار الكتب، (الموصل، ١٩٩٧م) ، ص٤٢.

(٢) كمال السامرائي: مختصر تاريخ الطب العربي، دار الحرية، (بغداد، ١٩٨٤م) ، ٣٢٦/١.

(٣) اورنك زيب الأعظمي: حركة الترجمة في العصر العباسي، دار الحرف العربي، ط١، (بيروت، ٢٠٠٥م)، ص٤٥.

(٤) جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، تح: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ٢٠٠٥م)،: ص٦١.

(٥) فرات فائق خطاب: الكحالة عند العرب، جامعة بغداد، (بغداد، ١٩٧٤م)، ، ص٢٣.

(٦)رحاب خضر عكاوي، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، دار المناهل، (بيروت، د.ت)،، ص١٢٦.

(٧) نهاد عباس زينل: الإنجازات العلمية للأطباء في الاندلس، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٧١م)،، ص٩٤.

([٨]) احمد حسنين القرني: قصة الطب عند العرب، مطابع دار القومية، (القاهرة، د.ت)، ص٧٠.

([٩]) زينل: الانجازات العلمية للأطباء، ص٩٤.

([١٠]) الاعظمي: حركة الترجمة، ص٥١.

([١١]) زينل: الإنجازات العلمية للأطباء، ص٩٥.

([١٢]) عكاوي: الموجز في تاريخ الطب، ص٢٠١.

([١٣]) عكاوي: الموجز في تاريخ الطب، ص١٧٨.

([١٤]) محمد بن ابي يعقوب المعروف بابن النديم: الفهرست، تح: رضا تجدد، دار المعرفة، (بيروت، ١٩٨٧م)،: ص٣٥٤.

([١٥]) القفطي: اخبار العلماء، ص١٢٣؛ موفق الدين أبي العباس أحمد بن خليفة ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء، تح: عامر النجار، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٩٦م)، ٤٤/١.

([١٦]) ماهر عبد القادر محمد علي: مقدمة في تاريخ الطب العربي، دار العلوم العربية، ط١، (بيروت، ١٩٨٧م)، ص٢٤.

([١٧]) ابن أبي أصيبعة: عيون الانباء، ٤٤/١؛ عكاوي: الموجز في تاريخ الطب، ص١٧٨.

([١٨]) عبد الرحمن: دراسات في تاريخ العلوم، ص٤٣.

([١٩]) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، ط١، (بيروت، ٢٠٠٣م)، ص١٦.

([٢٠]) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢١٧.

([٢١]) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢١٩.

([٢٢]) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢١٦.

(٢٣) محمد بن علي بن طباطبا المعروف بن الطقطقا: الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، دار صادر، (بيروت، د.ت)، ص٩٥.

(٢٤) أحمد بن أبي يعقوب بن واضح: البلدان، مكتبة المرتضوية، (النجف، ١٩١٨م)، ص٤.

(٢٥) القرني: قصة تاريخ الطب، ص٩١.

(٢٦) السامرائي: مختصر تاريخ الطب، ٣٣٦/٢.

(٢٧) السامرائي: المختصر في تاريخ الطب، ج٢، ص٣٣٦.

(٢٨) ابن ابي أصيبعة: عيون الانباء، ٣٥/١-٣٦.

(٢٩) القرني: قصة الطب عند العرب، ص٩١.

(٣٠) ياسين خليل: الطب والصيدلة، ص١٥٩.

(٣١) ابن خلدون: المقدمة، ص٤٠٧.

(٣٢) ابن خلدون: المقدمة، ص٤٠٧.

(٣٣) القفطي: اخبار العلماء، ص١٤٨؛ عكاوي: الموجز في تاريخ الطب، ص٣٢٨؛ الوتري: تاريخ الطب في العراق، ص٣٣؛ الحاج قاسم: تاريخ الطب، ص٦٩.

(٣٤) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ٦٢/١.

(٣٥) الوتري: تاريخ الطب في العراق، ص٣٣.

(٣٦) فراج: الطب الاسلامي، ص١٧.

(٣٧) خليل: الطب والصيدلة، ص ص١٥٩-١٦٠.

(٣٨) خطاب: الكحالة عند العرب، ص١٥.

([٣٩]) الحاج قاسم: الطب عند العرب والمسلمين، ص٢٩٩.

([٤٠]) السبل: وهو عبارة عن غشاوة رقيقة تعرض للعين من انتفاخ عروقها بسبب دم غليظ يتشعث وينبسط على الملتحمة وربما عفنت القرنية فيسبب باحمرار العين وتغلظ اجفانها ومن اعراضه الحك والدموع والالم من ضوء الشمس وضوء السراج فيضعف البصر فيها. ينظر: خطاب: الكحالة عند العرب، ص٨٤.

([٤١]) عبد الفتح: اعلام المبدعين، ص١٩٤٥.

([٤٢]) حمارنة: مكتبة الكحال، المجلس الأعلى للعلوم، (دمشق، ١٩٩١م)، ص٣٤.

([٤٣]) الوتري: تاريخ الطب، ص١٧.

([٤٤]) نشأت حمارنة: مكتبة الكحال في عصر الرازي، مجلس الادبي للعلوم، (دمشق، ١٩٩١م)، ص١٧.

([٤٥]) طه الراوي: بغداد مدينة السلام، مؤسسة هنداوي، (القاهرة، ٢٠١٢م)، ص١٨.

([٤٦]) الفخري: الآداب السلطانية، ص١٩٤.

([٤٧]) الوتري: تاريخ الطب، ص٢٠٢.

([٤٨]) القفطي: اخبار العلماء، ص ص١٠٧-١٠٨.

([٤٩]) القفطي: اخبار العلماء، ص١١٣.

([٥٠]) الفخري: الاداب السلطانية، ص١٧٧.

([٥١]) الوتري: تاريخ الطب، ص١٨.

([٥٢]) السامرائي: طب العيون دار الفكر، (بيروت، ١٩٩٦م)، ص١٥.

([٥٣])أمين أسعد خير الله: الطب العربي، المطبعة الأميركانية، (بيروت، ١٩٤٦م)، ص ص١٧٨-١٧٩.

([٥٤]) الوتري: تاريخ الطب في العراق، ص١٨.

([٥٥]) علي عبد الفتاح: اعلام المبدعين من العرب والمسلمين، دار ابن حزم، ط١، (بيروت، ٢٠١٠م)، ص١٤٩٤.

([٥٦]) الوتري: تاريخ الطب في العراق، ص١٩.

([٥٧]) خير الله: الطب العربي، ص١٧٠.

([٥٨]) الوتري: تاريخ الطب في العراق، ص٢٠١؛ خير الله: الطب العربي، ص١٧٨.

([٥٩]) سمير حاماتي: الاطباء النصارى في العصرين الاموي والعباسي، معهد التراث العلمي العربي، (حلب، ٢٠٠٩م)، ص٢٣.

([٦٠]) الوتري: تاريخ الطب في العراق، ص٢٠١.

([٦١]) شوقي أبو خليل: هارون الرشيد أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا، دار الفكر، (دمشق، ١٩٩٦م)، ص١٣.

([٦٢]) الفخري: الآداب السلطانية، ص١٩٦.

([٦٣]) الفهرست، ص٧٢.

([٦٤]) زينل: الانجازات العلمية للأطباء، ص٩٥.

([٦٥]) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المعروف بالدينوري: عيون الاطباء، تح: منذر محمد سعيد ابو شعر، المكتبة الاسلامية، ط١، (بيروت، ٢٠٠٨م)، ١٠/١.

([٦٦]) الفخري: الآداب السلطانية، ص٢١٦.

([٦٧]) الفخري: الآداب السلطانية، ص٥٦.

([٦٨]) القس سليمان الصائغ الموصلي: تاريخ الموصل، المطبعة السلفية، (مصر، ١٩٢٣م)، ٩٢/١.

([٦٩]) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ٤٥/١.

([٧٠]) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ٣٥/١.

(٧١) سليمان فياض: عمالقة العلوم التطبيقية وانجازاتهم العلمية في الحضارة الاسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ٢٠٠١م)، ص٤٤.

(٧٢) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ٣٦/١.

(٧٣) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص٣٨؛ أبو الفضل احمد بن طاهر المعروف بابن طيفور: بغداد في تاريخ الخلافة العباسية، مكتبة المعارف، (بيروت، ١٩٦٨م)، ص٣٠.

(٧٤) ثابت بن قره الحراني: البصر والبصيرة، تح: محمد رواس قلعجي ومحمد ظافر الوفائي، العبيكان، ط١، (الرياض، ١٩٩١م)، ص١٣؛ أبو بكر احمد بن حسين ظهير الدين البيهقي: تاريخ حكماء الاسلام، تح محمد كرد علي، المجمع العلمي العربي، ط٢، (دمشق، ١٩٧٦م)، ص٢٠؛ عكاوي، الموجز في تاريخ الطب، ص١٧٢.